انجلوس تيرزاكيس

السيد المطـاع

الشخصيات

- لامبروس بيليكاس
- مارينا
- مانوس
- زمارو
- صوت براكاس

---

* في ضيعة بيليكاس
* الوقت الحاضـــــر

(غرفة نوم. رحيبة ، ثمينة الأثاث . يبدو عليها ذلك الرخاء الذى تميزت به بيوت أثرياء الأقاليم فيما مضى . السرير إلى اليمين عريض ومزدوج . إلى اليسار المدفأة ثم باب وفى الأغوار نافذة عريضة وإلى جوارها باب شرفة . الضلفتان الخشبيتان مغلقتان . الوقت ليل . ومن فتحات النافذة وباب الشرفة يتسلل ضوء القمر . المسرح معتم وخال .

تمضى بضع لحظات . ثم يسمع قفل الباب الصدىء يئن بصعوبة . يفتح الباب ببطء وتردد، ومع حركة الانفتاح يسقط على خشبة المسرح ضوء مصباح أصفر. نرى الآن غرفة ظلت مغلقة منذ أمد ، ربما سنوات عديدة، التراب يغطى الارجاء والساعة الموضوعة على منضدة صغيرة قد توقفت عقاربها . كل ذلك يظهر أن الغرفة قد ظلت مهجورة . ومع ذلك فكل شىء على غاية من النظام . كل قطعة من الأثاث فى مكانها والسرير مرتب الغطاء .

تدخل زمارو ، الخادمة العجوز ، ممسكة بالمصباح عالياً ، ويدخل معها مانوس وهو شاب فى العشرين من عمره تقريباً ، هزيل وتبدو عليه دلائل المرض . يسيران على أطراف أصابعهما وقد كتما أنفاسهما . يتوقفان ما أن يخطوا إلى الداخل بضع خطوات .)

مانوس : (هامساً ، وقد تغشاه خوف مبهم وانتابه حزن ورعشة) إذن . . . هى هنا .

زمارو : (بذات اللهجة تقريبا) هى هنا . (برهة صمت)

مانوس : (وقد جال ببصره فيما حوله) أجل . . . أذكره . . . السرير . . الدولاب . . . الساعة . . . متوقفة . أليس كذلك ؟

زمارو : متوقفه . لم يدخل أحد هنا منذ أحد عشر عاما .

مـــــانوس : متوقفة . وعلى أى وقت ؟ . . . الثـانية عشرة الا ربعا (يزداد صوته انخفاضا ، وبعناء) أكان هذا هو الوقت ؟

زمـــــارو : أى وقت ؟

مـــــانوس : عندما . . . لفظت أنفاسها .

زمـــــارو : كـلا . كان الوقت يقـتـرب من الحـادية عشـرة . لكن الساعة مضت تعمل بعد ذلك .

مـــــانوس : هاهى . . هاهى . . المرآة ! إنى اذكرهـا واقفة أمامـها، تمشط شعرها . أكانت فارعة القامة ، أيه ؟

زمـــــارو : هم . . . كلا ، متوسطة .

مـــــانوس : أذكرها طويلة . كنت صغيرا . لكن . . كان لها ذراعان أبيضـان ، ناصعـا البياض ، وشـعرها أسـود ، حالك السواد .

زمـــــارو : أجل ، هكذا كانت . وأنت كم تشبهها !

مـــــانوس : كلا ، كانت جميلة. أذكر ذلك . (برهة صمت قصيرة) آه ، هاهى الشرفـة ! منهـا كنت أشاهـد الحقـول . كانت بعد أن تفـرغ من إلباسى ثيابـى ، تطلب منى أن أخرج إلى الشـرفة حـتى ترتب شـعرها هى الأخـرى . كنت أجرى وأرى حبات الزيتـون ، وسنابل القمح ، والجبال البعيدة . .

زمـــــارو : هيه ، فلننصرف الآن ، بسلام .

مـــــانوس : كنت اسمعـها تغنى فى الغرفة بصوت خـفيض . كانت تغنى دائما بصوت خفيض وهى تمشط شعرها .

زمـــــارو : كيف تذكرها وقد مضى كل ذلك الوقت الطويل! (تجفف دمعة وهى تمضى منصرفة) .

مـــــانوس : (يتقدم إلى الأمام خطوة ، ويجيل ببصره حوله فى نشوة روحية . يهمس بصوت خفيض يكاد لا يسمعه غيره) أماه ! . . . .

زمـــــارو : فلننصرف الآن . ضوءالصباح يبين من ثنايا خشب النافذة ، مهما كان خفيضا . ولورآنا السيد . . .

مـــــانوس : (الذى لم يسمع ما قيل . بعاطفة متأججة) تعالى ، نفتح باب الشرفة يازمارو!

زمـــــارو : (وقد استبد بها الخوف) باب الشرفة؟! أتمزح يا مهجة قلبى؟! السيد يجلس تحت فى الفناء مع زوجى. هل تريد أن يشنقنا، أنا وهو؟

مـــــانوس : (وقد انتابه انزعاج مفاجىء) هل أبى تحت؟

زمـــــارو : بالطبع هو تحت، يسوى الحساب مع زوجى. أن براكاس يقدم له تقريرا عما أصاب الزيتون من جفاف . كان المحصول هذا العام ضئيلاً ، ومنذ أيام يخشى زوجى هذه اللحظة .

مـــــانوس : (يرهف السمع) أجل . . . أصواتهما مسموعة .

زمـــــارو : السيد صارم . لا يتقبل أعذارا. أنت تعرفه .

مـــــانوس : خفّضى ضوء المصباح أكثر من ذلك . (يخفضه بنفسه)

زمـــــارو : لن يجدى ذلك شيئا. أقول لك من الأفضل أن ننصرف. هل تصورت ما الذى سيصيبنى ، أنا المرأة المسكينة ، لو دار بخلد أبيك أننى قد فتحت لك هذه

الغرفـة ؟ هل تعرف ماذا يعنى أحـد عشر عامـاً ؟ أحد عشر عـاماً كاملة لم يأت بك إلى الضيعـة ، بينما كنتم ذات يوم تقضون هنا الصيف كله . . . هل تعرف لماذا ؟

مـــــانوس : لماذا ؟

زمــــــارو : حتى لا تطلب أن تدخل هذه الغـرفة . ها أن أقول لك السبب ، طالما أنك لا تعرفه !

مـــــانوس : إذن . . . كان من الأفضل أن يبيع البيت . فما الجدوى أن يكون ملكنا ولا نجيء إليه ؟

زمــــــارو : ليس السيد من أولئك الذين يبيعون أملاكهم . إنه يعشق ملكية الضياع .

مـــــانوس : ها هو صوته ، صوته يعلو .

زمــــــارو : يالكارثتى وخراب بيتى ! (تهم بالمضى إلى الباب)

مـــــانوس : انتظرى ، فقد سكت .

زمــــــارو : فلننصرف ، بربك ! فلننصرف .

مـــــانوس : (متوسلا) لم العجلة . . طالما أقول لك أنه قد سكت ؟! ثم من يدرى ، لو كنت سأرى هذه الغرفة مرة أخرى ، ومـتى ؟! . تعـرفين أننى جئـت وليس فى قلبى طوال الطريق سوى هذه اللهفة الخفية ؟

زمــــــارو : أعرف ذلك. أنت إنسان مختلف عنه ، يا مهجة قلبى . أنت تشبه المرحومة .

مـــــانوس : تعتقدين ذلك ؟

زمـــــارو : اجل . أذكرها - طيب الله ثـراها - واذكركم بكت عند ما قرر السيد أن يزوجنى إلى ناظر عزبته براكاس .

مـــــانوس : لم تكن تريدينه ، أنت ؟

زمـــــارو : كلا ، يا مهجة قلبى . لا أنكر أنه رجل شريف ، لكنه نزق شديد الغـضب عنيد . كيف أعـبر لك عن ذلك ؟ وهو قاس ، قلبه مثل الصخر أيضا .

مـــــانوس : لكن ماذا كان موقف أبى من زواجك ؟

زمـــــارو : قال «فلتكف الدموع» «لقد قررت» هذا ما قاله .

مـــــانوس : إذن . . (يتنهد) فلننصرف . (نظرة أخيرة على ما حوله) السرير . . . الدولاب . . . الساعة . . . لن تـدور الساعة أبدا . . . فلننصرف ، ألا زال بالدولاب شيء من فساتينها ؟

زمـــــارو : لابد أن به فساتينها . فلم يفتحه أحد منذ ذلك الحين .

مـــــانوس : هذا أحسن ، أحسن . . .

زمـــــارو : فلننصرف الآن . حان وقت العشاء .

مـــــانوس : (وقد مضى يجيل بصره فيما حوله) آخ ! لازال الوقت مبكراً . . .

زمـــــارو : كلا ، كلا . أقول لـك فلننصرف . ربما أتى إليكم بعد العشاء ضيف أيضا .

مـــــانوس : ضيف ، هنا ، فى الريف ؟

زمـــــارو : بجوارنا . السيدة مارينا فتـحت بيتها منذ بضعة أيام . أنها على الدوام أول من يحضر إلى هنا . .

مـــــانوس : مارينا . . . أجل . . . أذكر هذا الاسم . صـبية حسناء مع أمها العجوز . . .

زمـــــارو : الأم مـاتت . أما مـارينا فلم تنـل السنين من جـمالهـا كثيرا.

مـــانوس : كانت تنـاديني أحيانا ، في الـصباح ، من شـرفتـها . وكانت تضحك ، دائما تضحك . لابد أنها قد تزوجت الآن ، أية ؟ . . . بعد أحد عشر عاماً ! . . .

زمـــــارو : كلا . ظلت دون زواج . هيا بنا .

مـــانوس : هيا .

لامبروس بيليكاس : (داخلا على حين غرة) لحظة واحدة !

زمـــــارو : يا أيها السيد المسيح ! (يكاد المصباح أن يقع من يدها)

بيـليـكاس : (بابتسامة رضاء) مهلك . . . انتبهى إلى المصباح !

(صمت جليدى . بيليكاس رجل فى العقد الخامس من عمره ، شعره وخطه الشيب . يتقدم على المسرح ثم يقف دون أن يتلفت حوله . يستدير إلى ابنه الذى لا يرفع عينيه نحوه)

زمـــــارو : (وضعت المصباح جانبا وشبكت أصابعها) سامحنى أيها السيد !

بيـليـكاس : (إلى ابنه ، مشير إليها) أناس مخلصون ! . . . وكنت أقول أن عندى أناسا مخلصين ! (يبتسم ، ولكن سورة غضبه بادية) .

زمـــــارو : سـيـدى، أذنبت . . . ليس الذنـب ذنب الولد . . . أنا الذى فتحت له .

مـــانوس : أبى ! . . .

بيـليـكاس : اسكت ! (إلى زمارو) اخرجى . . انزلى وقـابلى براكاس وقولى له : (فتحت لابن السيد الغرفة المغلقة . الغرفة التى كان قد حرمها علينا) قولى له هذا ، وهو يعرف ماذا سيفعل .

زمـــــارو : (مرتعشة) لزوجى ؟ أقول ذلك لزوجى ؟!

بيـليـكاس : أجـل ، براكاس مخلص . وهـو أيضا رجـل ، يعرف ما يجب أن يفعل . اذهبى .

زمـــــارو : (ترسم علامة الصليب) يا أيها السيد المسيح! (تنصرف منهارة) .

بيـليـكاس : (بعد برهة صمت ، ينظر إلى ابنه مبتسما . هادىء الصوت) إذن ، كنت تريد أن تراها .

مــــانوس : (بصوت خائر) أجل .

بيـليـكاس : (يستجويه بصوت خال من التأثر ، وقد بدا عليه عدم الاكتراث) هل انتابتك هذه الرغبة فجـــأة ، أم كنت مـن الأصـل تريد ذلك ؟

مــــانوس : من الأصل كنت أريد ذلك .

بيـليـكاس : هل مضى وقت طويل على دخولكما الغرفة ؟

مــــانوس : كلا .

بيـليـكاس : و . . . كيف وجدتها ؟ أكنت تذكرها ؟

مــــانوس : كنت أذكرها .

بيـليـكاس : (يجلس) يهـمنى أن أعـرف انطبـاعك : مـا الذى كنت تذكره ، كيف كانت تبدو لك فى أحلامك - إنك كنت تحلم بها ولاشك . . .

مــــانوس : أجل ، كنت أحلم بها .

بيـليـكاس : فى أحلامك ، هل كـانت تبدو لك أفضل مما وجـدتها عليه ، أم أسوأ ؟ أكبر أم أصغر ؟

مــــانوس : (جائلا النظر فيما حوله) اكبر . . ولكن ليس بهذا الجمال.

بيليكاس : (مقطبا) آه . . .
مانوس : اقصد . . . لم أكن أتصورها حية إلى هذا الحد .
بيليكاس : (ساخرا) حية . . أهكذا تصف غرفة امرأة ميتة !
مانوس : بالنسبة لى ، هى ليست ميتة .
بيليكاس : (فجأة ، يخبط بيده ، رافعا صوته) كلام سخيف ! إذ يصدر من ابن بيليكاس .
مانوس : صدقنى ، لم أعرف أننى سأغضبك .
بيليكاس : (الذى يخطو بضع خطوات . بهدوء ولكنه هدوء متكلف) حسنا ، حسنا ، لم تغضبنى . . أسأت الفهم فحسب . أجلس (يضع يديه على كتفيه) .
مانوس : (منزعجا) أجلس ؟
بيليكاس : أجل .
مانوس : هنا ، فى هذه الغرفة ؟
بيليكاس : ولم لا ؟ أنها غرفة مثل سائر الغرف الأخرى . وأريد أن نتكلم .
مانوس : نحن الاثنان ؟
بيليكاس : (ابتسامة مضيئة) نحن ، طبعا ! ألسنا أبا وابنا ؟
مانوس : نحن كذلك .
بيليكاس : وماعدت أعتبرك صبيا الآن . يجب أن تعرف ذلك . لقد تجاوزت العشرين . إذن ، فأنت رجل !
مانوس : (يجلس)

بيـليـكاس : هكذا ، حسنا . لكن الضوء هنا جد معتم . ولا تعجبنى الأضواء المعـتمـة . كمـا أن هذا المصبـاح يتصاعـد منه الدخان . (يصلحه) الأفضل أن أفـتح الضلفة الخشبـية. هناك قمر بالخارج . (يذرع المسرح ويفتح النافذة) حسنا ، انظر هذا الضـوء ! كأننا بالنهـار . (يفتح باب الشرفة أيضا) ليلة صافـية ، وضاءة النجـوم . هذا أفضل . سـيكون الجو غدا جميلا للصيد . (من باب الشرفة ، يطل مناديا) براكاس !

صوت رجل: (من الخارج) أجل ، يا سيدى .

بيـليـكاس : لاتنس أن توقظنى قبيل الفجر .

الصــــوت : حسنا ، يا سيدى .

بيـليـكاس : ونظف البنادق . لا أريد أن تطيش منى طلقـة واحدة ! سأكون رائق المزاج غدا .

الصــــوت : إنى أنظفها ، يا سيدى .

بيـليـكاس : (تاركا باب الشرفة مـفتوحا ، إلى مانوس) فليدخل هنا بعض الهواء حتى ينقى الجو . (نازلا) سوف تأتى غدا معى ، للصيد ؟

مـــــانوس : لا أعرف .

بيـليـكاس : لا تقل لا أعـرف . إمـا أجل وإمـا لا . هكذا يجـيب الرجال .

مـــــانوس : إذن ، كلا .

بيـليـكاس : (مبتسما) أفزعتك مـرة أخرى ، أراهن على ذلك . لكن هذه طبيعة صوتى. فلا يجب أن تفزع . (برقة) والآن ، هل أصارحك بشىء ؟ وددت كثيرا أن تأتى غدا إلى الصيد .

مـــانوس : ماذا أفعل ، يا أبى . ليس الذنب ذنبى .

بيـليـكاس : ماذا يعنى هذا الكلام ؟

مـــانوس : لا يعجبنى الصيد . هذا هو الأمر .

بيـليـكاس : (غير راض . بجفاء) حسنا . فلننتقل إلى موضوع آخر . (برهة من الارتباك . ثم يقول) قلت لك من قبل أننى سأتكلم إليك كرجل يتكلم إلى رجل . إذن ، باختصار : إن مستقبلك يقلقنى .

مـــانوس : مستقبلى ؟

بيـليـكاس : لم تفكر فى الأمر بعد . وإنى لأعجب من ذلك . ربما كنت تتغافل ، أو ربما كنت تعتمد على الثروة التى سأخلفها لك مستقبلا .

مـــانوس : لم تدر بخلدى أفكار من هذا القبيل قط ؟

بيـليـكاس : ومع ذلك يجب أن تفكر فى الأمر ! هذه هى المشكلة . ما دام لا يفكر المرء فى أمر ، فهذا يعنى أن هذا الأمر لا يشغله . أنت تعرف أنك ستجد ثروة بانتظارك ، ولهذا فإنك لا تفكر فى شىء . ومع ذلك ، فقد جاهدت بكل الطرق منذ أن كنت صغيرا، كى أفسد عليك مثل هذا التفكير . أردتك رجلا مقداما مكافحا فى الحياة ، تبنى وحدك دعائمك ، مثلما كنت أنا . أردتك أن تكون ابنا لبيليكاس حقا .

مـــانوس : إنى سأعمل .

بيليكاس : ستعمل ، ستعمل ! أعرفك أنك ستعمل . لكن المسألة هي كيف . أن النملة بدورها تعمل . لكنى لا أريدك نملة. هل رأيتنى ؟ أنى أشدد قبضتى فيشعر بى الجميع . أمضى فى المقدمة فيتبعنى الآخرون . هذا هو السر فى الحياة : ألا تكون واحدا من كثيرين ، بل أن تكون الواحد المتفرد .

مانوس : هذا . . . ليس بإمكان أى واحد .

بيليكاس : (بحماس) لكن أنت لست أى واحد ! لا أريد أن تكون أى واحد . أنت ابن لامبروس بيليكاس . إفهم ذلك جيداً !

مانوس : سأبذل قصارى جهدى .

بيليكاس : (يطبق قبضتيه) إننى إزاء كلامك هذا وفتورك ، كأننى أسمع أمك .

مانوس : (يجيل النظر فيما حوله) أمى ! . . .

بيليكاس : هذا الطبع بالنسبة لأمك كان يناسبها ، فقد كانت امرأة . وربما كان هذا خصلتها الحميدة الوحيدة . ولكن أنت ، أنت ابنى! . . . (يضعه خطوات) حسنا. ربما كان الجو هنا فى هذه الغرفة هو الذى لا يناسبك . أراك تنظر فيما حولك مرتعبا ، وتخفض صوتك (ابتسامة ساخرة) غرفة امرأة ميتة ، أيه ؟ لكننى كنت أريدك حتى هنا فى هذه الغرفة رجلا ، بل وهنا على الأخص . وإنى تعمدت أن أبقيك هنا . أردت أن أشفيك من مخاوفك .

ولو كان بإمكانى لأخذتك أيضا إلى المقابر لتمضى الليل فيها . إن تنفتح جراحك وينزف منها الدم الأسود ، ويتخفف قلبك . ويصبح طائرا خفاق الجناحين مثل قلبى !

مانوس : أبى . . . ربما حان الوقت لأن ننزل العشاء سيبرد .

بيليكاس : أهذا مالديك أن تقوله لى ؟ حسنا . إنى إلى الرعد أتكلم . دائما كنت أخشى هذا . أنت روح نسائية . ياللعنة ! . . . (يمضى بضع خطوات . وأمام باب الشرفة يقف . يطل إلى تحت) : يا براكاس ! مع من تتحدث ؟

صوت براكاس: جاء إليك ضيوف ، يا سيدى .

بيليكاس : ضيوف ؟ من ؟

صوت براكاس: السيدة مارينا ، جارتنا .

بيليكاس : (مغتبطا) مارينا ؟ حسنا . سأنزل (يعود إلى الداخل) هيا بنا الآن . مرة أخرى ، سنعاود الحديث فى الموضوع .

مانوس : (ينهض ، بينما يمضى أبوه إلى الباب ويهم بالخروج) لحظة واحدة ، يا أبى .

بيليكاس : ماذا تريد ؟

مانوس : هل . . . يضايقك أن أطلب منك طلبا ؟

بيليكاس : أى طلب ؟

مانوس : هناك فى ذلك الدولاب، لازالت توجد على ما أعتقد بعض الأشياء المتعلقة بأمى . . .

بيليكاس : لا أعرف . وماذا تطلب إذن ؟

مانوس : هل . . . تستاء لو . . . أخذت شيئا من متعلقاتها ؟

بيليكاس : وماذا ستفعل بما تأخذ ؟

مانوس : لاشيء . . سأحتفظ به تذكاراً !

بيليكاس : (بينما يدقق النظر فيه جيداً) إيه ، ياللعقل المريض ، وكم من سخافات تصدر عنه ! تذكار ، إيه ، أهنئك يا فتى ، كبر جسمك ، وصرت رجلا ، ولازلت على أفكارك الصبيانية ! . . .

مانوس : (مخفضا عينيه) لا أعرف . . لا أستطيع أن أقول لك . . ليس بمقدروك أن تفهم .

بيليكاس : (يقترب منه . وجها لوجه) أن أفهم ؟ ما الذى يجب على أن أفهمه ، ياولد ! أتعتقد أننى لا أعرف ماذا تحيك من أفكار بداخلك ؟ تقول لنفسك «أعرف كيف أحب ، أما أنت فلا تعرف . أنت لم تحب أمى قط» .

مانوس : لم أقل هذا .

بيليكاس : وهذا هو السيء فى الأمر ! لم تقله ! لو كنت قد قلته لكنت رجلا ابن رجل ، لكنت ابنى . ولكنك تفكر ، وتدع الفكرة تغلى بداخلك ، فحسب . وهذا ما أتقزز منه !

مانوس : سامحنى .

بيليكاس : كلا . إنى لا أسامحك . لا أسامحك ، لأننى كنت أود أن تجاهر بافكارك ، وعندئذ كنت سأقول لك بدورى إنك مخطىء إذ تعتقد أننى لم أحب أمك . أحببتها قدر ما أعرف كيف أحب ، دون نحيب ودون ثرثرة ،

أحبـبتها كـرجل ! أحبـبتها كـما يجب أن يحب الرجل امرأة : أحببتها مدركا لقوتى محوطا إياها برعايتى !

مـــانوس : ربما كنت تشفق عليها فحسب .

بيـليـكاس : هراء ! كنت أشفق عليـها بطبيعة الحـال . المرأة مخلوق ضعيف . ويجب أن تكون مـخلوقا ضعيفـا . وإلاً فما المعنى من وجود الرجل ؟ ولا يجـدر أن تقف فى حياته عقبة ، حيـة كانت أو ميتة ! (ضحكة مارينا فى الخارج تخترق الليل وتتدحرج صافية رقراقة) .

مـــانوس : لم تقف أمى عقبة فى طريقك .

بيـليـكاس : ولهذا أحببتها . هيا بنا !

مـــانوس : وثمة شىء آخر . . .

بيـليـكاس : ما هو أيضا ؟

مـــانوس : إلى هذه الغـرفة ، هنا ، لم تأت بى زمـارو . أنا الذى أكرهتها على ذلك .

بيـليـكاس : لا يعنينى هذا .

مـــانوس : كـلا ، يجب أن أقـول لك . . . إنهـا لـم تكن تريد . اضطررتها إلى المجىء ، رغمًا عنها .

بيـليـكاس : قلت لك ، لا يعنينى هذا .

مـــانوس : لا يجب أن تعاقبها ، يا أبى .

(طلقة فى البستان ، وصرخة)

مـــانوس : (وقد سرت البرودة فى عظامه) ما هذا ؟

بيليكاس : (وقد بدا عليه قليل من الاضطراب) طلقة بندقية . لابد أن براكاس يجرب البندقية المزدوجة الطلقات (يمضي إلى باب الشرفة ويطل منها) . ماذا يجرى هناك ؟

صوت براكاس : لاشيء ، لا شيء ، يا سيدى . مجرد خطأ .

بيليكاس : هل أصيب أحد ؟

صوت براكاس : كلا .

مانوس : (مرتعشا) ثمة من يبكى . . .

بيليكاس : (صوب الخارج) من الذى يبكى؟

صوت براكاس : لا أحد . أنها زمارو .

بيليكاس : ولماذا تبكى ؟

صوت براكاس: فزعت . مسها رشاش من طلقات البندقية .

مانوس : آخ ، إنه أصابها !

بيليكاس : اسكت . كفى هراء .

مانوس : (يطل خارجا) زمارو ! كلمينى ! . . . هل أصبت ؟

صوت زمارو : (منتحبة) كلا ، يا سيدى . مجرد جرح فى الساق .

صوت براكاس : خدش . مجرد خدش (يقهقه ضاحكا)

مانوس : يا إلهى ، يا إلهى . سأذهب لأراها . (يندفع خارجا من جهة اليسار) .

بيليكاس : (ينظر إليه وهو يمضى خارجا . يهز رأسه . ثم يدخل بخطى وئيدة ، يغلق الضلف الخشبية لباب الشرفة . يضىء المسرح الآن نور المصباح والقمر الوافد من النافذة . فى هذه الأثناء تدخل من اليسار بلاجلية امرأة تقف بالقرب من الباب وتمضى ناظرة إلى بيليكاس . يستدير فيراها . بشراسة :) من هناك؟ (صمت . يدقق النظر إليها . ويقترب منها خطوة) من هناك ؟

مـــــارينـا : (تلقى الوشاح من على رأسها) .

بيـليـكاس : (وقد أضاء وجهه) مارينا ! . . .

مـــــارينـا : أجل ، أنا . لم تتعرف على ، من أول نظرة .

بيـليـكاس : كانت عيناى مبهورتين بضوء القمر . ثم إن الانتقال إلى هذه الظلمة هنا فجأة . . .

مـــــارينـا : الظلمة وفوات السنين .

بيـليـكاس : السنين . . كلا ! ماذا تعنى ثمانى أو عشر سنوات !

مـــــارينـا : إنها إحدى عشرة سنة .

بيـليـكاس : فتلكن إحدى عشرة ! من كان مثلك لا يصبح عجوزا ، يا مارينا . ولا من كان مثلى . . لكن كيف صعدت إلى هنا؟ ليس هذا بالمكان المناسب . فلننزل .

مـــــارينـا : صعدت لأقول لك عن زمارو . أصابها براكاس بجراح .

بيـليـكاس : أصابها ؟ هذه دعابة ! منذ هنيهة سألتها ، فقالت . . .

مـــــارينـا : أصابها فى ساقها .

بيـليـكاس : خطأ . كـان يجرب البندقـية ذات الطلقـات المزدوجة . أتعرفين ؟ أريد أن أخرج غـدا للصيد ، لأستعـيد قليلا من الأيام الخوالى .

مـــــارينـا : أنت ، تستعد الأيام الخوالى ؟ . . .

بيـليـكاس : (ضاحكا) أجل . لماذا ؟ يبدو لك الأمر غريبا ؟

مـــــارينـا : رأيت ابنك .

بيـليـكاس : (مكتئبا) آه !

مـــــارينـا : أنه لا يشبهك .

بيليكاس : (مجفلا) وكيف تعرفين ذلك ؟

مارينا : أريد أن أقول ملامح وجهه لا تشبه ملامحك .

بيليكاس : ملامح الوجه لا تعنيني ، كثيراً ، كما تعرفين . ولكن متى سنحت لك فرصة رؤيته ؟ . . . إنه كان هنا في هذه الغرفة منذ لحظة .

مارينا : التقينا عند الباب الخارجي . بينما كنت قادمة كان هو يمضي خارجا . رأيته برهة في ضوء القمر . كان أشعث الشعر مضطربا ، نظرته معتمة ، وكان يجرى .

بيليكاس : أجل ، سمع طلقة البندقية وتملكه الجزع من أجل زمارو. إنه عاطفى بعض الشيء . وهذا لا يعجبنى .

مارينا : رأيته برهة قصيرة ، وخيل لى أننى أرى هيلينى .

بيليكاس : على اسوأ الفروض ، ربما تشبه ملامحه ملامح أمه أيضا. ولكن ليس لهذا الأمر أهمية .

مارينا : كان لقاؤه مفاجأة لى ، حتى أننى بقيت - صدقنى - لحظة فاقدة النطق ، كما لو كنت أرى هيلينى عند باب غرفة المائدة . اتذكر ؟

بيليكاس : (بجفاء) هيا ، هيا !

مارينا : ارتسم على وجهه ذات التعبير . . تعبير الهلع والألم . . .

بيليكاس : أوف ، حسنا !

مارينا : الذى ارتسم على وجه هيلينى عندما فتحت الباب فجأة وبغتت بوجودى بين ذراعيك .

(صمت)

بيليكاس : (الذى جال فى ارجاء الغرفة دورة أودورتين) حسنا . دعك من ذلك الآن . أنى لأدهش من تلذذك باسترجاع مثل هذه الذكريات ! . . .

مارينا : آه ، تعرف ، أننى لا أحب أبدا أن أتذكر الماضى . لست من تلك النسوة اللاتى يعشقن ذلك . . لكن فى بعض الأحيان ، رغما عن إرادة المرء . . . ثم لا تنظر إلى نفسك . أنت سافرت وغيرت أجواء وبيئات ومعارف وطرائق حياة . أما أنا فبقيت هنا وانحصرت فى إطار الحياة ذاتها التى كنت أعيشها من قبل . أحد عشر عاما وحياتى على وتيرة واحدة .

بيليكاس : (سائرا) فى النهاية ، وحدك أردت ذلك . كان باستطاعتك أن تتزوجى أفضل زواج .

مارينا : (تنظر إليه بطرف عينها وإن كان صوتها قد أحكم كى ينم عن عدم الاكتراث). أجل ، هذا يجب أن يقال .

بيليكاس : (متوقفا عن السير) إذن ، ماذا تقولين ؟ هل ننزل الآن ؟

مارينا : ننزل ؟ هل ثمة ما يدعوك إلى العجلة ؟

بيليكاس : كلا . ولكن . . هل تجدين هذا المكان جميلا لنتجاذب فيه أطراف الحديث ؟

مارينا : (تثبت نظراتها فى عينيه) هل تجده أنت قبيحا ؟

بيليكاس : يعنى . . . (مقطبا جبينه فجأة) ماذا تقصدين ؟ هل مر بخاطرك . . أننى خائف ؟ (ضحكة عالية) .

مارينا : لم أقل ذلك . . .

بيليكاس : من المضحك على أى حال أن تكونى قد فكرت فى ذلك . لا أنكر أن أحد عشر عامـا شىء لا يستهان به ، ولكنها ليست بالكافية أن ينسى لامبروس بيليكاس أحداً ! إيه ، مـارينا ! . . . لم يرهب بيليكاس الأحياء قط ، فـهل يخاف الآن من الأشباح ؟!

مارينا : وهل تستطيع أن تصارع الأشباح ، أنت ؟ باستطاعتك أن تتصرف مع الرجل الحى التصرف الذى يناسب المقام، وأن تحمله على الركوع لك .

بيليكاس : (يقف امامها) كما لو كنت لا أعرفك ، يا مارينا . كما لو كنت قد تغيرت عن ذلك قبل .

مارينا : تعتقد ذلك؟

بيليكاس : لست متأكدا .

مارينا : وددت أن تفكر ، مـن الأقـوى منا نحـن الاثنين ؟ أنت الذى رحلت ، أم أنا التى بقيت ؟

بيليكاس : إنى لم أرحل هاريا – أعرف مـاذا تريدين أن تقولى ! – رحلت لأن ثمة حياة أكثر رحـابة كانت تدعونى إليها . كانت لدى طاقات جيـاشة بداخلى ، رسالة على الوفاء بها ، نداء يشـدنى إليه . كان على أن أحـقق ما خلقت من أجله .

مارينا : أن تصبح قويا ، يشار إليك بالبنان ، مـسموع الكلمة . . أن تظفـر بالثراء والسلطة . . هذا هو النداء الـذى شدك إليه .

بيليكاس : هل تذكرين ؟ كانت هذه مبادئى . كنت أنت أيضا تحبينها وتدفعيننى إلى تحقيقها .

مارينا : وبقيت أنا أجتر الماضى .

بيليكاس : سوف يكون غريبا أن تتهمينني الآن . لم تكن مصائرنا معقودة بعضها ببعض . كان لك طريقك ، وكان لى طريقى . ولم يكن الطريقان يسيران متحاذيين .

مارينا : لقد أردتهما أنت غير متحاذيين !

بيليكاس : (بحمية) ذات الشىء من جديد ؟ ذات الشىء من جديد ؟ تكلمنا فى هذا الأمر العديد من المرات ، مللت من تكرار ما قلته لك . مضت أحد عشر عاما ، لكننى لم أنس ما قلت . رفيقة لروحى أحس بك يا مارينا ، لأنك تشبهيننى . إن روحك قد انتشت بنفسها ، مثل روحى التى انتشت بنفسها أيضا . رفيقة لحياتى أحس بك ! أنت تشبهيننى أكثر مما كان يجب .

مارينا : هل كان ذلك شعورك منذ أن كنت أعزب ؟

بيليكاس : منذ ذلك الحين ، ولاشك .

مارينا : ولم يجعلك الزواج تغير من رأيك ؟

بيليكاس : كلا .

مارينا : ولهذا أيضًا فقد ظللت رفيقة روحك حتى بعد زواجك . رفيقة وفية ، ألم أكن يالامبروس ؟ لم أحمل لك ضغنا من أجل إقصائك لى .

بيليكاس : أى إقصاء لك ! طالما شرحت لك الأمر ، شرحته لك برجولة . هل تنسين ذلك الآن ؟

مارينا : كلا ، إننى لا أنسى أبدا . وها هو الدليل على ذلك !

بيليكاس : ماذا ؟

مارينا : ها أنا ذا . هل تزحزحت قيد أنملة ؟ هل خطوت خطوة أبعد من مصيرى الذى شققته لى ؟ بقيت وفية ليس لصحبتك فحسب بل ولذكراك أيضا . لم أتزوج.

بيليكاس : (يساوره الشك) أمن أجل ذلك لم تتزوجى ؟

مارينا : (ساخرة) ألم تكن تعرف ؟!

بيليكاس : كلا ، ولكننى ... كنت أقول ...

مارينا : أنه لم يكن باستطاعتى ذلك !

بيليكاس : لم أقل شيئا مثل هذا . بالطبع كنت تستطيعين . ولكن أقول لك الحق ، كنت أعرف طبعك .. كنت على الدوام صعبة الإرضاء ، امرأة - كيف يمكن أن نقول ذلك - صعبة المراس ! ...

مارينا : متعبة .

بيليكاس : (ضاحكا) قليلا ... (صمت)

مارينا : (تجلس) إذن ، فهذا ما كنت تعتقده ... وإنى فى الحق مشوقة لأن أعرف : هل لازلت تعتقد ذلك فى ، إلى الآن ؟

بيليكاس : لا أعرف . لم أفكر فى الأمر .

مـــــارينـا : بالطبع ، سوف كان الأمر يبدو غريبا لو كنت قد فكرت. أكانت ثمة أشياء كثيـرة استحوذت على اهتمامك ، وأنت في زحمة صعودك إلى القمة ، يا لامبروس ؟

بيـليـكاس : أجل ، أعـترف بأنه كـان ثمـة أشيـاء كـثيـرة . طوال سنوات، خـمس، أو ست ، أو ربما سبع ، عـشت فى حالة من الحمى المتصلة .

مـــــارينـا : أنت قوى واسع الثراء.

بيـليـكاس : واسع الثراء ، وعليَّ أن أفى ، بصـلاحياتى . لست نكرة من النكرات بل متفـرد الشخصيـة أنا . أفرض سيطرتى فيحس الجميع بوجودى . وإن تصادف أن تخلفت افتقدوا مكانى . ألا تعتقدين أن هذا شيئ جدير بالاعتبار؟

مـــــارينـا : بالطبع هذا على الأخص حلمك . وهو ليس بالأمر القليل .

بيـليـكاس : ماذا يعنى ذلك ؟

مـــــارينـا : أن يحقق كل امرىء حلمه .

بيـليـكاس : أصبت القول .

مـــــانوس : (داخلا من اليسار) أبى . . . (يرى مارينا) أوه ! معذرة . . .

بيـليـكاس : (بكياسة) تعال ، تـعال ، ماذا تريد ؟ لا تـخجل ، ألا تذكر السيدة ؟

مـــــارينـا : (تنهض مرحبة به) أنا مارينا . عندما كنت صغيرا كنت أومئ إليك من شرفـتى كل صباح . وكنت تأتى إلى بسـتانى لتأكـل الفراولة . أنك لا تذكـر بالطبع ، ليس بإمكانك أن تذكر .

مانوس : كيف ! أذكر .

مارينا : حقا ؟

بيليكاس : والآن ، فيما كنت تريدنى ؟

مانوس : أرجو معذرتى ، فلم أكن أعرف .. رأيت أنك تأخرت فى النزول فجئت أسألك .

بيليكاس : حسنا ، اذهب .. سأحضر حالا ..

(يخرج مانوس . تتابعه مارينا بنظراتها)

مارينا : حقا ، إنه يشبهها .

بيليكاس : (باصرار) لا أعرف ، هذا ما سوف ترى .

مارينا : آه ..

بيليكاس : (مكتئبا) لم أفقد كل أمل بعد . سأواصل جهادى . وربما فى النهاية ، كسبته .

مارينا : معنى هذا أنك لست واثقا تماماً ...

بيليكاس : بل أنى لكذلك ، يجب أن أكون كذلك ! ألا تعتقدين ؟ أليس صحيحا أن الابن يشب على شاكلة أبيه ؟ إنه ولى عهدى الطبيعى .

مارينا : مهما يكن ...

بيليكاس : إن به بعض نقاط الضعف ، ربما بسبب السن ، لا أنكر ذلك . (وقد ثارت ثائرته) اسمعى ! أتعرفين ماذا جاء يفعل الآن هنا ؟

مارينا : ماذا ؟

بيليكاس : جاء يرى الغرفة من جديد ، غرفة أمه . كما لو كان ثمة ما يشده إليها !

مارينا : آه !

بيليكاس : لكن مهلك ، فقد عملت لكل شيء حسابا . أحد عشر عاما كاملة أقصيته بعيدا عن كل ما يذكره بها . طوال أحد عشر عاما لم آت به إلى هذا البيت .

مارينا : آه ، هذا هو السبب .

بيليكاس : أجل ، غيرنا من محل إقامتنا ، ومن الناس المحيطين بنا ، ومن عاداتنا . فى أثينا حيث عاش ، كانت الحياة أكثر رحابة وجرأة ، وليس لها زخم حياة الأقاليم المغلقة .

مارينا : ربما ، وجب ألا تأتى به إلى هنا ابدا .

بيليكاس : هذا ما كنت سأفعله ! ولكن صحته التى اعتلت . . .

مارينا : آه . . .

بيليكاس : أجل . ليس الأمر جد جسيم ، لحسن الحظ . مجرد خلل صغير فى الغدد . أوصى الأطباء بالإقامة فى الريف .

مارينا : أيه ، وهل اقتصر الريف على هنا ؟

بيليكاس : آه ، حقا ، ولكن مهلك . سوف ترين . فقد عملت على أن أجمع بين «المتعة والفائدة» وقد كان أسلوبى على الدوام ألا أترك شيئا يضيع ، فقررت فجأة أن آتى به إلى هنا كى أنتهى .

مارينا : وما الذى أردت أن تنتهى منه ؟

بيليكاس : أن أنتهى من ذكراه عن أمه . كنت أخشى وأرتاب من أننى كلما أقصيته عنها تماماً ، كلما كمن فى قلبه شىء مثل شجن ، أو أمنية غير متحققة ، أو ربما أيضا مجرد فضول يتحول مع الوقت إلى حنين .

مارينا : وبناء على ذلك ؟

بيليكاس : لم أكن مخطئا . فبداخله اختبأ ضعف من هذا القبيل. كنت قد أوصيت براكاس أن يغلق هذه الغرفة . ولكن الشيطان أراد أن يكون المفتاح فى حوزة زوجة براكاس. وهى التى فتحت له ، وإن كان الفتى والحق يقال قد لجأ بنفسه إلى إكراهها على ذلك .

مارينا : أيه ، هذا أفضل إذن ! هكذا ستعجل بالانتهاء من الأمر .

بيليكاس : (بقلق) أجل . لا أعرف .. ! أرجو ذلك .. لكن موقفه هذه الليلة لم يعجبنى، أعترف بذلك .

مارينا : خل عنك! إن ذكرى أمه بعيدة، حلم من أحلام الصبا. أما صورة الأب ، فعلى العكس من ذلك تماماً ، هى صورته الحية ، الماثلة أمامه يوميًا ، والتى ستملأه إعجابًا بها ، لأنه ولاشك معجب بك ومفتون .

بيليكاس : (متشائما) لست أدرى . . .

مارينا : (بحيوية) مستحيل ! لا تقل ذلك لأننى لا أسلم به . كيف لم تجبره على الإعجاب بك ؟

بيليكاس : أجبره ؟ وهل تعتقدين أن الإعجاب من تلك الأشياء التى يمكن أن تسقى بالقطارة ؟

مـــــارينـا : هذا ممكن بالنسبة للإعجاب . إن الحب وحده هو الشيء الذى لا يحمل عليه المرء جبرا .

بيـليـكاس : (بعنف وعصبية) آه ، هذه هى المسألة ! إننى لا أريد ابنى أن يعجب بى فحسب ، بل أريده أن يحبنى أيضا!

مـــــارينـا : (تنهض ، بوقار) إذن ، انفض يدك من الأمـر يالامبـروس بيليكاس . إنك خسرت اللعبة .

بيـليـكاس : (دهشا ، ينهض واقفا) لماذا ؟

مـــــارينـا : لأن الحب ليس تحت إمرتك .

بيـليـكاس : (يضحك ضحكا أجوف) ليس حقا ؟

مـــــارينـا : كلا .

بيـليـكاس : أنت تقولين ذلك ؟

مـــــارينـا : أنا التى أعرف ذلك جيدا ، أعرفه أكثر من أى شىء آخر .

بيـليـكاس : معنى ذلك . . إنك تتعارضين مع نفسك . .

مـــــارينـا : ليس ثمـة تعـارض مع نفـسى . هـل خـيل إليك أننى أحبك؟

بيـليـكاس : أنت لا تحبيننى الآن ، ولكن فيما مضى .

مـــــارينـا : ولا فيما مضى .

بيـليـكاس : كيف ! (فجأة وقد ارتسمت على شفتيه ابتسـامة) أعرف . . إنها ضغائنك القديمة . لقد ندمت على مافات .

مـــــارينـا : على الاطلاق . كنت فى التاسعة والعـشرين من عمرى أقرأ كتـاب نفسى جيدا ، وذلك قدر مـا أقرأه الآن وقد بلغت الأربعين . . إننى لم أحبك قط . لم أحبك قط !

بيليكاس : قط ، ومع ذلك فعلت كل ما بوسعك لتفرّقى بينى وبين هيلينى ، ومن أجلى بقيت عانسا.

مارينا : أنت تقول ذلك ، أما أنا فلا أقوله . وهل تعتقد أن المرأة تجاهد لتظفر برجل ؛ لأنها تحبه فحسب ؟

بيليكاس : كلا ، بالطبع . إنها تصارع أيضا اغتناما لفرصة ، لكن أنت أرفع من ذلك .

مارينا : إنها تجاهد من أجل متعة النصر أيضا . لقد أشرت أنت إلى ذلك منذ قليل، عندما قلت: «إن روحك يا مارينا ، منتشية بنفسها» .

بيليكاس : (شاحبا) آه . .

مارينا : أرأيت أنك كنت على حق عندما قلت ذلك ؟ إننا متشابهان نحن الاثنان ، أكثر مما يجب .

بيليكاس : هيه . . . (يبتسم ساخرا) ولماذا بقيت عانسا ؟ . .

مارينا : لأنه لم تعد بى رغبة فى الزواج . ملأتنى الحياة بالتقزز.

بيليكاس : أرأيت ؟ أرأيت ؟

مارينا : لقد حطمتنى الهزيمة . لابد أنك تفهم ، أنت ، ماذا تعنى «الهزيمة» ، أنت يا من تشبهنى .

بيليكاس : (يجلس مجهداً) لأول مرة ، أسمع هذا .

مارينا : لو كنت جديرا بأن تحب ، ما كنت لتنتظر حتى تسمع ذلك ، سوف كنت تشعر به فى داخلك .

بيليكاس : (مفكرا) حسنا ، ولماذا . . . إذن حتى بعد زواجى . . .

مـــــارينـا : تقصـد لماذا بقيـت عشيـقة لك : أليس هذا مـا تريد أن تقـول ؟ إن هذا بالضـبط مـا كـان يـجب أن يجـعلك تتشكك فى الأمر . بقيـت لأننى لم أكن قد فقدت كل أمل بعد . كنت لازلت أعتقـد أننى سأظفر بك . كنت أعتقد ذلك بإصرار .

بيـليـكاس : إلى هذا الحد كنت تعتبرينه نصرا مبينا أن تستحوذى على ...

مـــــارينـا : كنت أعتبره نـصرا مبينا لذاتيتى ، وترضيـة قيمة لأُثرتى الشخصية .

بيـليـكاس : (ينظر إليها مذعورا) آه ، يالك من امرأة مخيفة ، يا مارينا ! الآن ، أشعر بك . . تبعثين الرعب فى أعماقى .

مـــــارينـا : خسرت تلك المعركة آنذاك ، لكن يبدو أننى أعوض الآن بعض ما خـسرت . (تشهق بعمق) هذه اللحظة انتظرتهـا أحد عشر عاما !

(صمت)

بيـليـكاس : (ينهض) فليكن ، مـاحدث قـد حـدث . لست ، كمـا تعـرفين ، من أولئك الذين يقـفون أمـام أشبـاح أو من أولئك الذين ينظرون إلى الخلف . فلننزل . (يمضى متجها نحو الباب . فجأة بإصـرار وعصبية) ولكن حب ابنى ، لن يقوى أحـد أن يزلزل منه . لن يقوى أحـد على ذلك ، فمـا بالك بامرأة ميتة ؟ سترين أننى سأظفر به !

مـــــارينـا : إنه أملك الأخير ، لا أستطيع أن أقول شيئاً .

بيليكاس : (مرتابا) ولماذا هو «أملى الأخير» ؟

مارينا : لأنك بلغت ، يالامبروس ، السن التى تضحى فيه القوة غير كافية . أخذ يستيقظ فى أعماقك حنين إلى الحب ، ويتغشاك الضعف الإنسانى بدورك . آن الأوان لذلك .

بيليكاس : فليكن هذا هو الوضع .

مارينا : آه ، أجل ! أن لم تكسب هذا الحب ، ضعت . جرداء ستكون شيخوختك ، ولن يكون لديك ما يدفىء ذكرياتك .

بيليكاس : أنت مخطئة . أنانيتك قد ضللتك . تعرفين جيداً أن هناك من أحبنى .

مارينا : من ؟

بيليكاس : (مشيرا إلى الفراش) صاحبة هذا الفراش .

مارينا : (مبتسمة) تعنى أنك كنت سيدها المطاع .

بيليكاس : اطاعتنى باختيارها ، لأنها أحبت ذلك . كانت امرأة بحق . إنه شىء ليس بإمكانك أن تحسيه .

مارينا : ويكفيك هذا ؟

بيليكاس : ولم لا ؟ إن ذكراها تدخل الراحة إلى قلبى . كرست نفسها من أجلى ، وظلت وفية لى . لا أدرى ، يقولون أيضا إن إخلاصها لى قد زاد عن الحد ، بل وإنها قد ضحت بنفسها من أجلى . صارت عشبا عند مواطىء قدمى .

مارينا : وقد كان هذا هو السبب أيضا الذى جعلك تختارها زوجة لك . . .

بيليكاس : أجل ، كان نكران الذات أبرز خصالها .

مارينا : وقد ظلت صامتة ، منسحقة تحت ثقل طموحك الجامح.

بيليكاس : أعتقد إلى حد نسيان ذاتها .

مارينا : ولكن كياننا النسائى المهمل ينتقم لنفسه إن عاجلا أو آجلا.

بيليكاس : ماذا تريدين أن تقولي ؟

مارينا : أن هيلينى دفعت فى النهاية ثمن اختناقها هذا تحت وطأتك .

بيليكاس : وكيف ذلك ؟

مارينا : دفعت الثمن من راحة بالها . لم يطل بها العمر على أى حال حتى تتنبه أنت إلى الأمر ، ثم إنك كنت آنذاك غائبا منذ شهور فى اثينا . ولكن لو كانت امتدت بها الأيام قليلا . لو كانت مضت تحت وطأة الخيانة . . .

بيليكاس : (متنفضا) الخيانة ؟! . .

مارينا : أجل ، لأن هذا الأمر على أقل تقدير يعتبر خيانة .

بيليكاس : (يستدير نحوها . ويقترب منها كما لو لم يكن يسمع جيدا) هل تعنين ما تقولين ، أم إنك فقدت صوابك ؟

مارينا : أفهم بطبيعة الحال أن الأمر يثير عواطفك ، ولكن بعد كل هذه السنين .

بيليكاس : (يمسك برسغيها) عن أية خيانة تتحدثين ؟ هل تقدرين ما تنطقين به ؟ . . . أرجوك انتبهى إلى ما تقولين !

مـــــارينـا : (تتراجع بضع خطوات وتنظر إليه) عجـبا ، وما الـذى يجعلك تتأثر بقولى إلى هذا الحد ؟

بيـليـكاس : اسمعى ! لا أريد مزاحا . قلت قـولا جسيما ، لا أعرف ما إذا كنت قد نطقت به عمدا أم زل لسانك . لكننى أصر على أن تقدمى لى إيضاحا . وإنى لفى الانتظار .

مـــــارينـا : ها أنت قد اكتسيت من جـديد بطابع السيد الذى يصدر الأوامر فيطاع ! . .

بيـليـكاس : أجل . تكلمى !

مـــــارينـا : مـا كنت أتصـور ، أصـدقك القـول ، إن الأمـر كـان سيضـايقك إلى هذا الحد . أعتقـد أنك أسمى من هذه الصغائر .

بيـليـكاس : تكلمى ! تكلمى !

مـــــارينـا : أيه ، مـاذا تريدنى أن أقول لك ؟ هـل تعتـقد أن فـتح القبور شيئاً جميلاً ؟

بيـليـكاس : (ثائراً) إذا كانت تخفى سرا وبيلا فـأننى على استعداد أن افتحها بأظافرى ! تكلمى !

مـــــارينـا : إنك تلوى يدى ، ألا تحس ذلك ؟

بيـليـكاس : لا أدرى . (يتركـها فجأة) إذن ، عجلى بما عـندك قبل أن ينفد صبرى . (يشبك يديه . صمت . ينظر إليهـا محملقا) والآن ! (فجأة ، يطلق ضحكة شرسة) هيا ، تكلمى ، أفـصحى عن أكذوبتك الحمقاء ، انفـثى سمك الثعبانى ! لأنك وأنت فى صـوابك لا تصدقين بطـبيـعة الحـال أن لامبـروس

بيليكاس سيتردى فى شباك غيرتك ووشايتك الدنيئة التى تفح بها شهوة الانتقام فى أذنيك . لا يمكن لصوابك أن يصدق أننى سأضحى لعبة بين يديك ! تكلمى . سألهو كثيرا وأنا استمع إليك .

مـــــارينـا : (رابطة الجأش) كنت أنتظر هذا ، وكنت مترددة ، أنت ترى ذلك . ليس من الســهل أن تصـدقنى ، وقـد جـاءت الأمـور على ما جـاءت عليـه . . . ولكن هذا شىء لا يهمنى أيضا . ليس ثمة مـا أكسبه فى هذه المسألة . . . فلننصرف .

بيـليـكاس : (يقطع عليها الطريق بشراسة) كلا ! قول مثل هذا يلقى به فى وجه لامـبروس بيليكاس ، لايبـقى قائله بغـير أن يدفع الثمن . هل ستفسرين ما قلت ، أم تدفعين الثمن ؟

مـــــارينـا : دعك من الكلام الطنان ، فهو لا يعنى شيئا . وكفى ما وصلنا إليه . فلننصرف من هنا ، أقول لك .

بيـليـكاس : (يقبض على يدها) للمرة الأخيرة ، أقول لك : تكلمى !

(وجها لوجه . يحملق كل منهما فى الآخر)

مـــــارينـا : (ببطء ، وبدهشة) عجبا . . . لم أكن أتصور . . .

بيـليـكاس : (مهددا) ماعدت أستطيع الانتظار !

مـــــارينـا : (مكملـة لفكرتهـا) أجل ، هذا هو الأمـــر . . . لا يمكن أن يكون غـير ذلك . . . جـرحت أنانيتك ، ولهـذا فقـد ثارت ثائرتك .

بيـليـكاس : هل ستتكلمين ؟

مـــــارينـا : (تطلق ضحكة عصبية) حقا ، سوف يكون باعثا على الجنون أن يتصور المرء الأمر الآخر . . . سنين عديدة ، وزوجتك على قيد الحياة ، لم تحبها . أهملتها ، ملقيا بها فى أحد الأركان ، ناسيا ما إذا كان لها وجود ، لم تنظر إليها قط كإنسان حي . كانت شيئا من ممتلكاتك. والآن ، فجأة ، تظهر كل هذا الاهتمام بها ! . . . ولكن الذى يعنيك بطبيعة الحال هو شرف الاسم . . . إنها ، على أسوأ الأحوال ، كانت زوجة لامبروس بيليكاس ! . . .

بيـليـكاس : اللعنة عليك ! (يلوى يدها . تطلق صرخة وينحنى جسدها رغما عنها . تنتفض واقفة بحركة ضارية) .

مـــــارينـا : آه ، هذا هو الأمر إذن ! عنوة ! . . . حسنا ، أنت الذى أردت ذلك . . . (كما لو كانت تبصق الكلام فى وجهه) اعلم ، إذن ، مادمت تتعطش إلى معرفته . اعلم بالأمر بعد ثمانية عشر عاما : إن زوجتك قد خدعتك .

بيـليـكاس : (ينتفض كما لو كان قد صفع) كفى !

مـــــارينـا : كلا ! لن أكف الآن . سوف أتكلم . سوف أصيح بما أريد أن أقول . إنه حقى أنا ! لا يمكنك ابدا أن تنتزعه منى . لقد دفأته فى صدرى وربيته ثمانية عشر عاما كاملة ، كى أستطيع أن أقذف به فى وجهك عملاقا ، كى يسحقك ! أنه ابنى أنا هذا السر ، أرضعته لبنى . ما الذى كنت تظنه ، يا بيليكاس ، أنه ليس لى أنا بدورى ابن ؟ لى وهو

أقوى من أبيه ، طالما أنه يقتله . آه ، هنا ! انظر إليه ! إنه يزنك بنظرته ، يدينك بلا رحمة ويطعنك فى القلب طعنة نجلاء . هكذا الأبناء ، وهو ابنك أنت !

بيليكاس : (يمسك بكتفيها ، وبصوت مختنق) كفى ، لا تصيحى !

مارينا : كنت فى العشرين من عمرى ، يا بيليكاس ، وانقضت ثمانية عشر عاما أخرى ، الآن . ثمانية عشرعاما كنت أنت تسود مطاعا ، أما أنا فكنت أنتظر . كم هو عذب أن تنتظر .

بيليكاس : (يجلسها على الكرسى عنوة . يغلق الباب ويعود . وقد كز على ناجزيه . بصوت اخرس) تكلمى الآن .

مارينا : ماذا أقول ؟

بيليكاس : (بقسوة) التفاصيل .

مارينا : لست مدينة لك بذلك . يمكننى أن أحتفظ بها لنفسى ، وأستمتع بعذابك المؤبد . وهذا يكفينى الآن .

بيليكاس : أيتها الشيطانة !

مارينا : أرأيت أن ثمة من هو أقوى منك أيضا .

بيليكاس : لن تخرجى من هنا حية !

مارينا : وأنت ماذا ستكسب من ذلك ؟ هل ستزيد معرفتك شيئا؟ ثم يجب أن تعرف أن الحياة بالنسبة لى قد انتهت. كانت بانتظار هذه اللحظة فحسب كى تصل إلى ختامها. سعدت بالخطوة الأخيرة . بلغت أعلى مراتب الفرحة التى لم يبلغها سوى قلة . ومن أجل ذلك ، فأنى اشكر الله الذى خلقنى .

بيـليـكاس : عليك اللعنة ! سأرغمك على الكلام . . .

مـــــارينـا : كيف ؟ بآلة التعذيب ؟ وددت أن تجرب هذا حتى يكون لى الحق أيضا فى أن أشفق عليك .

بيـليـكاس : هيا ، إننى أتركك ، تكلمى فحسب .

مـــــارينـا : ماذا ؟ هل تطلب التفاهم ؟

بيـليـكاس : أجل ، التـفـاهم ، مـا تريدينه ، فـحـسب عـجلى بما عندك .

مـــــارينـا : كنت دائما واثقة من أنك ستنهار يوما . يكفى أن تهب فى وجـهك قـوة أخـرى ، أشد بأسـا . هذا مـا كـان يستـهوينى ، كى ألعب معك لعبـة الحب . ويقولون إن الحب كـراهيـة عـذبة . إنك لم تمنحـنى قط لحظة حب أشهى من هذه اللحظة .

بيـليـكاس : (يجلس ويمسك رأسه بين يديه) اللعنة ، كم سيطول تعذيبك لى !

مـــــارينـا : يكفينى هذا ، لى أنا أيضا كبريائى . والآن ، قلت إنك تريد التـفاصيل ، خـذها ، وهى على أى حال لـيست بالكثيرة . . .

بيـليـكاس : (يهب واقفا) انتظرى ! كلمـة واحدة ، قـبل كل شىء ، أعطنى اسمه . من هو ؟

مـــــارينـا : (تنظر إليه وقد استغرقها التفكير) من هو ؟ . . .

بيـليـكاس : أجل ، من ؟ خبرينى بسرعة !

مـــــارينـا : وماذا يجدى ذلك ؟

بيـليـكاس : آه ! تتوهمين ذلك ؟

ماريــنا : آخ ، يالك من طفل صغيـر ، يابيليكاس ! كنت أعرف على الدوام إنك فى أعـماقك طفل ، طفل قـاس غيـر مروض . هل تعتقد أن الانتقام يشفى غليلا ؟

بيـليـكاس : هذا شأنى أنا .

ماريــنا : وماذا ستكسب من هذا ؟ ما الذى ستطفئـه ، يا شقى الحظ ؟ أهى الفـحمـة التى كانت تحـرق قلبك ، قلبك الذى مزقه الجرح ؟

بيـليـكاس : (يصم اذنيه) ياللعنة ، فقط لو لم أكن قد سمعت .

ماريــنا : إذن ، لا تسألنى .

بيـليـكاس : وحق أى اله تعبدين ، خبريـنى . هل تعتقدين أن الأمر بهذه السهـولة ؟ ألا ترين أننى أهوى لحظة بعد أخرى . خبرينى ، إذن ، خبرينى !

ماريــنا : بماذا أبدأ ؟

بيـليـكاس : باسم الرجل !

ماريــنا : كى تأمر بـراكاس بأن يقتلـه ، إيه ؟ فات الأوان الآن . أنه قد مات .

بيـليـكاس : (مستاء) هو بدوره ؟

ماريــنا : هو بدوره .

بيـليـكاس : (منهارا) إذن . من كان ؟

ماريــنا : مضى على الأمر ثمـانية عشر عـاما . . حدث ذلك فى هذا المكان ذاته . . فى بيتك هذا . . جئت بعد زواجك لتقضى الصـيف بصحبة هيلينى . ولكن فجـأة جرفتك

إحدى حماقتك المعتـادة . هجرتها وسافرت إلى اثينا . غبت مدة طويلة ، الصيف بأسره تقريبا . . .

بيـليـكاس : أجل ، دعـانى إلى هناك عـمل جليل . ارسـيت آنذاك الدعائـم الأولى لثرائى . اشـتريت سفـينتين وبجـسارة أرسلتـهمـا إلى البحـر يمخران عـبابه . كنا فى الحـرب العالمية.

مــــارينـا : كنا فى الحرب العالمية . بعد بضعة أيام من سفرك ، عاد ابن عمى ناسوس من الجبهة مصابا ، يعانى المرض . . .

بيـليـكاس : (ينظر إليها متألما .. بصوت اجوف) آه . . .

مــــارينـا : لم تكن إصابتـه خطيرة ، لكن مرضه كـان أشد . كان يعانى من داء الصدر .

(صمت)

بيـليـكاس : (بصوت مبحوح) وبعد ؟

مــــارينـا : جاء يقيم فى الريف ، هنا فى بيـتنا . التأم جرحه رويدا رويدا كما أخـذ يشفى من مرضه . كنا نضع له مـقعدا ليجلس فى الشرفة وقت الظهيرة . كان يقرأ ويتطلع إلى الحـقول ويحلـم . كان ناسـوس روحـا حالمة ، وفـتى وسيما . . .

بيـليـكاس : (ينهض على مهل . مرتعشا) إذن . . . كان هو ؟!

مــــارينـا : بطبيعة الحال ، بدأ الأمر بالشفقة ، وبمشاعر رقيقة مبهمة . كان هو يكتب أشعارا وكانت هيـلينى مغرمة بالأغانى ، فكانت تطلب منه أن يقرأها لها ، وكانا يقرآنها معا . .

بيـليـكاس : (متخبط الخطى ، يصم اذنيه) اسكتى ! . . اسكتى !

مـــــارينـا : هكذا بدا الأمر . وبعد ذلك . . بعد ذلك دون أن يتبين الاثنان الأمر ، وجدا نفسيهما ينزلان المنحدر العذب .

بيـليـكاس : (يهوى فجاة بقبضته على المنضدة) يا للعنة !

مـــــارينـا : إنى امـرأة ، وأشعـر ذات الشـعور . أهمـلتهـا ، ولم تمنحـهـا لحظة حب واحـدة ! أن الأرواح الـتى تنتظر ، يجب أن تعلم ذلك ، اكثر عطشا من غيرها .

بيـليـكاس : (وقد اطبق قبضتيه) يا أيها القدر الأسـود ! لم أعرف بالأمر إلا الآن ! . .

مـــــارينـا : أجل ، الآن . . لحـسن الحظ ، إنـك لم تعـرف به إلا الآن .

بيـليـكاس : «لحسن الحظ» تقـولين «لحـسن الحظ» ! ياربى وإلهى ! والآن ، أين أضـرب ضربـتى ؟ هرب الاثنان . اخـتبـأ الرعـديدان تحت بلاط القـبر مـثل الديدان . لا حـدود لسـورة غـضبى وتقـززى ! . . «لحـسن الحظ» تقـولين «لحسن الحظ» تنحازين إلى صـفهما . . (فجاة ، متوحشا) ايتها الغول ! أنت التى دفـعتهما إلى ذلك . الآن . . . الآن يتـضـح لى كل شىء : فـعلـت ذلك ، من أجل عقـابى . . من أجل الانتقـام منى . أين كانت عـيناى حتى الآن ! . . لك ، إذن أنا مدين !

مـــــارينـا : كذب هذا !

بيليكاس : (يهجم عليها ، ثائرا) لا تقولى لى شيئا ! لا تتكلمى ! لا تتبسى ببنت شفة ! . . إنى أتعرف عليك فى هذه الفعلة السوداء ، الشيطانية . كنت تحفرين لى الهوة ، تنخرين فى دعائمى ، بينما كنت أصارع هناك بعيدا صاعدا حر الروح منتشيا . ايتها الساحرة الشريرة سأغرقك فى دمائك واختنقك ! (يمسك بها . يتصارعون برمة) .

مارينا : أجننت ؟ . . ياالامبروس ! ثب إلى رشدك . . إنك تكتم انفاسى . . . (دقات على الباب . يتركها) .

بيليكاس : (بصوت مبحوح) من بالباب ؟

مانوس : (من الخارج) أنا . .

بيليكاس : ليس الآن !

(تنهض مارينا بعناء من على الأرض . بخطوات متخبطة يجوب بيليكاس ارجاء المسرح مثل حيوان ضرب على رأسه . بدا الآن تائها وصار صوته مكتيا) مهما بحثت عنهما . . لن أجدهما مهما بحثت . . أفلتا منى . من بين يدى أفلتا . . اختبآ تحت التراب . . (يتنهد بحرقة) آه ! (يضع يده على عينيه) هكذا عميت عيناى . . . (يجول ببصره فى ارجاء الغرفة ثم فجأة) وربما كان ما حدث قد حدث هنا . . فى هذه الغرفة ! . . هذا رائع!

مارينا : (برباطة جاش ورنة احتقار خفيفة) اعتقدت أنك على قدر أكبر من رجاحة العقل .

بيليكاس : (يتوقف . ويستدير) ألا زلت هنا ؟

مارينا : (ثابتة الجنان) أنت بحاجة إلى الآن .

بيليكاس : بحاجة إليك ؟

مـارينا : منذ الآن فصاعدا أنت بحاجة إلى عون ، ياﻻمبروس . لأول مرة فى حياتك يتألم جسمك . لقد جرحت .

بيليكاس : (مهدما ، يمضى بخطواته المتخبطة ويلقى بنفسه على كرسى ، وقد اغرورقت عيناه بالدموع) هكذا اذن . . . هكذا . . . ظننت أننى القوى المتفرد بينما الآخرون كانوا يضحكون من حولى .

مـارينا : كلا . أخذ الاثنان سرهما إلى القبر . وأنا الثالثة التى أعرفه ، لم أتكلم .

بيليكاس : آه . . . (متألما من جديد) ولكن ما الجدوى ! . . الوحشة باقية . . (كما لو كان يحادث نفسه) إذن حتى هى لم تحبنى . . .

مـارينا : حتى هى .

بيليكاس : لا أحد . (بعد هنيهة ، يعود إلى دائرة عذاباته المعنوية) اللعنة . . . ومن رجل مريض !

مـارينا : لا أعرف ما لو كانت قادرة أن تحب زوجا عجوزا . إن غرامها المذكور قد تولد عن الشفقة ، وهذا ما جعلها تزل . أعتقد أنها ما كانت تريد أن تخونك . .

بيليكاس : (كما لو كان لا يفهم) آه . . . (يجيل النظر حوله من جديد) كيف بدأت هذه الغرفة تكتسب لنفسها روحا ، وأخذت تدب فيها الحياة ! . . (إلى مارينا دون أن ينظر إليها) قلت أنه كان رجلا حالما . . .

مـارينا : أجل ، من يدرى ، ربماكان ذلك أيضاً لإحساسه بدنو الموت .

بيليكاس : وكان فتى وسيما .. ومريضا ..

مارينا : أجل ، كان كذلك .

بيليكاس : (فجأة، تزداد حيويته) و ... كم من السنوات ، تقولين أنها ، قد مضت ؟

مارينا : ثمانية عشر أو عشرون عاماً .

بيليكاس : ابنى .. هل تذكرين .. هل كان آنذاك ، وقد ولد ؟

مارينا : (قلقة) الولد ، كلا !

بيليكاس : (يتنهد بارتياح) هذا أفضل .. على الأقل لم تصب الابن خيانتها .

مارينا : كلا ، لم يكن الابن .. قد ولد بعد !

بيليكاس : مضت إذن ثمانية عشر أو عشرون عاما ... (تدب فيه حيوية مفاجئة .. ينظر إليها) ثمانية عشر أم عشرون عاما؟

مارينا : لا أعرف على وجه التحديد ...

بيليكاس : (محاولا أن يقدح زناد فكره) سأحاول أن أتذكر .. مضت عشرون عاما.

مارينا : وما الجدوى من ذلك ؟

بيليكاس : اسكتى ! أريد أن أعرف كل شىء . مضت .. أجل ، عشرون عاما ... عند عودتى من أثينا سمعتها تعلننى بالنبأ السار . (متهكما) ياله من شىء رائع شرف المرأة! إنها أوضحت لى على وجه التحديد . الوقت الذى تلقت منى بذرة ابنى .

مارينا : (صاخبة) أوه ! هيا ، دعك من هذا .

بيليكاس : (يتزايد انفعالا ، رويدا رويدا) في تلك الآونة تماماً ، أفهمت ؟ ما من شيء جعلها تحجم ، ما من شيء جعلها تتردد . ولا حتى خفقات الوليد الجديدالذي كان يتشكل في أحشائها .

مارينا : وما ادراك . ربما لم تكن قد أحست به بعد . . .

بيليكاس : كيف ؟ أتظنين هذا ؟ عدت إلى هنا من أثينا وقد دخل الخريف . ربما كان ذلك في سبتمبر . ومانوس ولد في يونيه . .

مارينا : (وقد استبد بها القلق) حسنا ! حسنا ، ليس لهذه الأمور من معنى . . .

بيليكاس : (فجأة ، يقفز كما لو كان قد اكل نباتا حريفا) أوه ! . . . (يمسك برأسه) يا إلهي !

مارينا : ماذا ؟

بيليكاس : اسكتي ! . . انتظري ! . . (يتهدم) ياللخاطر الذي ومض في عقلي ! . . . لكن ، كلا . . . مستحيل ! (ينقض عليها ويمسك بكتفيها) قولي لي إنه كذب !

مارينا : عما تتكلم . . ياالامبروس ! . . . هل جننت ؟

بيليكاس : (يزلزل كيانها ، ثم يتخلى عنها) أجل . . . أجل . . إنني في طريقي إلى الجنون . . أحس بعقلي يتخبط . . . كلا ، كلا ، يا الهي . .

مارينا : (مقتربة منه) ثب إلى رشدك . . اجلس . . إني لا أفهمك.

بيليكاس : (بعنف شديد) تفهمين ! ولكنك تضحكين على . تضحكين على الآن أيضا كما كنت تضحكين قديما . كلكم ضحكتم على . أنت واللذان ماتا ، وابنـ... آخ ! (يضع يده على فمه) أواه ، يا إلهى الرحمة ، اجبنى ! . . .

مارينا : كفى ، يالامبروس ، اسكت ! سوف يسمعونك .

بيليكاس : (بألم شديد ، جائلا فى ارجاء المكان متخبطا) من أسأل ؟ أين لى أن أعرف ؟ لكننى سأعرف ، يجب أن أعرف ! وإلا فالحياة تضحى مستحيلة . . . (امامها) أواه ، أيتها الغول ! لقد حطمتنى .

مارينا : وما الذى قلت لك ؟ لم أقل شيئا .

بيليكاس : لم تقولى لى . لكن يجب أن تقولى لى . ستقولين لى. مثل هذا العذاب لا يجب أن تتركيه فى فؤادى . منذا الذى أسأل أن لم أسألك أنت ! . . من ! (يطبق قبضتيه وينظر فيما حوله) من ؟ تلك التى رحلت ، هناك ؟ الميتة ؟ آخ ! لو كنت أقدر فحسب . . (تعلق نظرته بالدولاب ، فيهجم عليه . يمسك بمقبضه الصغير ويجذبه بقوة عمياء . ويفتح الدولاب ، يتلف القفل . ضحكة خشنة) ها ! . . . ها هى ! ها هى بأكملها ! . . إنى أمسك بها (يدس يديه ويحتضن فساتينها المعلقة . ينتزعها خارجا . يحتضنها بوله ثم يلقى بها ارضا ويدوسها بقدميه) انها هنا ! . . . جسدها الدافىء . . رائحته الفواحة . . . وإنى أدوس عليه ! أدوس عليه ! . . . (يطأ الفساتين المبعثرة على الأرض بخطوات رقصة متخبطة شرسة) .

مـــــارينـا : انتظر بربك انتظر ! إصغ إلى . . .

بيـليـكاس : أجل ،أجل ، هـا أنا أصـــغى إليـك . هذا مـــا أريده بدورى! وما الذى أطلب أكثر من ذلك ؟ قولى لى .

مـــــارينـا : ماذا تريد أن أقول لك ، مادمت لا أعرف .

بيـليـكاس : (يمسك بها من جديد) قولى لى ، قولى لى !

مـــــارينـا : لا أعرف ، أقول لك !

بيـليـكاس : أليس لك قلب ؟ إليس فى عـروقك دمـاء ! أليس لك جـسـد ؟ أى ثعـبان كـنت أضم العـديد من المرات إلى صدرى ؟ ماذا تطلبين أكثـر من ذلك كى تشفقى على ؟ فليقف انتقامك عن هذا الحد . تكلمى .

مـــــارينـا : أحس بمعـاناتك ، يالامـبـروس ، وأتعـاطف مـعك . ولكنى لا أعرف شيئا عن ذلك الذى تسأل عنه ! . . .

بيـليـكاس : (يخر راكعا على قدميه) هيا ، هيا . . أرجوك ، إنى أتوسل إليك ، وأقـبل قدميك . . . مـا الذى تريدين أكـثر من ذلك ! انظرى إلى : كنت لامبروس بيليكاس ! أما الآن فلست شيئا ، مجرد مخلوق تعس ، لست الآن شيئا . إنى أستجـدى سكينتى الذليلة البائسة . كل مـخلوقات هذا الوجود تنعم بسكينـتها ، أما أنا فلن يعـرف جفناى طعم النوم بعد الآن ، لن أذوق لقمـة هنيئة ، لن أسند رأسى إلى وسادتى خلى البال . أبدا . أنظرى إلى. آخ ! إنسان خرب ، هذا أنا . موحش وحشة مريرة.

مـــــارينـا : انهض ، انهض . أقـسم بروحى المقدسـة أننى لم أكن أريد ذلك !

بيـليـكاس : (ينهض بعناء ، وقد اثقلت الشيخوخة كاهله) لم تكن تريدينه لكنه حدث . . وبفـعلك حدث . انـهار الصرح الـشامخ . وداعا أيتها الآمـال والأحلام الذهبية . كنت أرفع رأسى عاليـا ، فى كبرياء ، والسـحب وتداعب جبـينى . أما الآن فقد مُـرِّغت فى التراب . آخ ! التراب أليم ، وفى إصرار يحتفظ بسره المخيف . . .

مـــــارينـا : أشفق عليك ، ياالامبـروس بيليكاس . أقسم بالله الذى بدأت أومن به أننى أشفق عليك .

بيـليـكاس : آخ ! إنك لا تشفقين على بما فيه الكفاية .

مـــــارينـا : إشفـاقى عليك كـبير ، فـقد ضـاع منك وقت الحب ، وفات الأوان كثيرا .

بيـليـكاس : إنك لا تشفـقين على . لو كنت تشفـقين ، لتكلمت ، وقلت لى .

مـــــارينـا : لا أعرف أن أقول عن ذلك شيـئا . ما من أحد فى هذا العالم بإمكانه أن يجيبك على كل ما تسأل .

بيـليـكاس : (يجر قدميه) وهل يجب إذن أن امضى حـاملا هذا العناء طوال مـا بقى من حيـاتى ؟ . . . (يقف أمام السـرير . يميل ويجلس عليـه . ويمسك فى رفق بالوسادة . ويمتلىء صوته برقـة الاستـجداء) أصغى إلى أنت ، أنت يا من جُرْتُ عليك ، وظلمتك . . ماعدت اضمـر لك ضغنا . أنصتى إلى . . . ترين أننى فى مسيس الحاجـة إلى هذا الابن لأتكأ عليه سنوات عمرى

الباقيات ، سنوات الشيخوخة الموحشة . أنصتى إلى .
إنى لا أريد أن أنتزعه منك . ما من أحد بقادر على ذلك .
ولكن أنا ؟ هل أبقى بلا ولد ؟ أترضين أنت بذلك ؟ . . .

مارينا : كف عن ذلك ، أستحلفك بالله ! كف .

بيليكاس : أوه ! شفاه القبر هذه الرخامية الباردة ، أين أجد حرارة تجعلها تلين فتتحرك ناطقة بالكلمة الوحيدة ! . . .

مارينا : (متراجعة ، وقد استبدت بها دهشة عميقة) هذا . . هذا لم أكن قد تصورته ! . . .

بيليكاس : (يمضى فى ملاطفة الوسادة بحنان) خبرينى ، إذن . . . ألا تريدين ؟ . . . كلا ؟ . . . ألم تغفرى لى بعد ؟ . . . ألم تغفرى لى ؟ . . . كنت ذات قلب طيب . . عامر بالحنان . . وكان حبى لك فى محله .

مارينا : (تراجعت إلى الباب ، وقد استبدت بها الدهشة العميقة) هذه إذن ما انتهت إليه الأمور ! . . . (تأخذ المصباح . وعلى مهل وبلا جلبة ، وقد تسمرت عيناها على السرير ، تخرج) .

بيليكاس : انظرى ! أصبحنا وحدنا . الآن ؟ . . . الآن ، ستخبريننى ؟ . . تعالى ، ارقدى إلى جوارى . . . فلنضّجع لنستريح ، كلانا . قطعنا طريقا طويلا ، اتكئى إلى ذراعى . . . أوه ! ما أعذب الإحساس بثقلك . لم أشعر به من قبل قط . . . والقمر ! . . . انظرى إلى القمر ! . . . كنت تحبينه . (بكاء عميق) لماذا لم تعلمينى أن أحبه أنا أيضا .

ستار